

المنهج التعليمي وملامح التجديد في (تقريب الأذهان إلى علمي المعاني والبيان)  
للشيخ العلامة منصور الفارسي

الدكتور أحمد عبد المنعم حالو  
الأستاذ المشارك للأدب القديم في جامعة نزوى

[a.munim@unizwa.edu.om](mailto:a.munim@unizwa.edu.om)

المخلص:

يعد العلامة الشيخ منصور بن ناصر بن محمد الفارسي ت: 1396هـ/1976م أحد أعلام الحضارة العمانية في العصر الحديث. وكان عايش الحضارة العربية الإسلامية وما تشتمل عليه من علوم مختلفة، وألف مؤلفاته على ما كان عليه الناس من طرائق الأقدمين، إلا أنه ومن خلال مؤلفاته الخطية، وعلومه التي كان يتقنها ويعلمها لتلامذته، كان متقدم عصره، ومن السابقين الأولين من العلماء فيما اختطه من منهج تعليمي أو رضي عنه ممن سبقه مع ملامح بينة من التجديد الذي خالط معظم عطاءاته العلمية. ويعنى البحث بالمنهج التعليمي لدى الشيخ منصور بن ناصر الفارسي . وملامح التجديد عنده.

الكلمات المفتاحية: المنهج. التعليم. التجديد. البلاغة. التلقي.

## المقدمة:

تتضمن هذه المقدمة حديثاً مقتضباً في أهمية البحث وضرورته ثم في إشكاليته وتساؤلاته على النحو الآتي:

### أ- في أهمية البحث وضرورته:

لعل من المفيد أن نقف مع مخطوطة العلامة الشيخ منصور الفارسي 1976م «تقريب الأذهان إلى علمي المعاني والبيان» من خلال تحقيقها الأول في جامعة نزوى<sup>(1)</sup>، وفي اتجاه جديد لا يتعلق بمعطيات التحقيق من حواش وتوثيق وتخريج وفهرسة، وإنما من خلال سؤال ضروري في أولى الضرورات؛ وذلك بسبب تعلقه بهذا التراث الضخم مما تركه العلماء الأقدمون من مخطوطاتٍ تمتلئ بها المكتبات العامة والخاصة وفي كل بقاع الأرض؛ ماذا نحقق من هذا التراث الضخم؟

أجاب فريق: إنه لا حاجة لنشر مخطوط ما لم يكن فيه جدة وإبداع وابتكار، وقد سبق بعض المتقدمين، فنأدى بهذا الرأي، وهو القاضي ابن العربي، إذ قال في صفة الكتاب الجيد «إما أن ي اخترع معنى أو يبتدع وصفاً ومبنى، وما سوى هذين الوجهين، فهو تسويد الورق والتحلي بحلية السرقة....»<sup>(2)</sup>

ومما لا شك فيه أن المخطوطات القديمة التي كتبها علماء القرن الثاني والثالث لها الصدارة، ولأن العلم كان في ريعان شبابه، وكان فيه طابع الجدة والابتكار، وكلما تأخر العصر كثر التكرار، وغلبت الشروح والمختصرات<sup>(3)</sup>.

يقودنا هذا إلى استثناء في غاية الأهمية، إذ من المعروف أن تقديم القديم لقدمه وحسب<sup>(4)</sup> قد لا يجدي نفعاً مع معطيات تراثية لا حد لها تواجهك في كل بقعة من بقاع العروبة والإسلام،

(1) حققها الباحث حميد بن علي بن خلفان الشهومي عام 2015م، إلا أنها لم تنشر بعد، ووزعت مطبوعة لأول مرة أيام المؤتمر برعاية الشيخ ناصر الفارسي ابن الشيخ منصور رحمه الله.

(2) الجبوري، يحيى وهيب: منهج البحث وتحقيق النصوص، ط2، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م، ص158 وما بعدها.

(3) الجبوري، يحيى وهيب: منهج البحث وتحقيق النصوص، مرجع سابق، الصفحة السابقة.

فكيف إذا كان المتأخر يحمل ميزات من المعرفة والعلم والجدة والابتكار تضاهي عمل الأولين السابقين.

أقول: وكيف إذا كانت هذه البقعة شرقي الجزيرة العربية<sup>(5)</sup> وكيف إذا كان القطر عُمان بما عُرف عن أبنائه من حب للعلم وجدّ في تحصيله واكتسابه، وموسوعية فياضة في نهله وتأليفه من لدن الخليل بن أحمد الفراهيدي إلى وقت الناس هذا، ولاسيما في علوم العربية والشريعة وعلوم أخرى.

فهذا بعض ما ينبئ عن أهمية البحث وضرورته وأنه لا مانع أن ندلف إلى مخطوطة مثل مخطوطة العلامة الفارسي: «تقريب الأذهان إلى علمي المعاني والبيان» لدراستها والعناية بها في أكثر من وجه تعليمي أو إبداعي، على نحو العنوان الذي تخيرناه، وهو دراسة المنهج التعليمي وملامح التجديد في هذه المخطوطة الغراء.

ومما يرفع من قدر هذا التوجه البحثي أن مخطوطة الشيخ الفارسي تعدّ من المخطوطات العمانية النادرة، وذلك لقلّة المؤلفات العمانية في هذا الجانب البلاغي في المدة من 1287هـ إلى 1397هـ أي قرابة قرن كامل على الرغم من النشاط الفكري الغزير، والازدهار العلمي الكبير في حركة التأليف في مختلف العلوم والفنون إبان تلك المدة<sup>(6)</sup>، وربما يُعزى ذلك إلى اهتمام العلماء العمانيين السابقين في جوانب أخرى، أو إلى الضياع الذي كان حليف كثير من المخطوطات العمانية<sup>(7)</sup>. ولعل ما تحدثنا به من أهمية البحث وضرورته هياً لنا الانتقال إلى إشكاليته وتسأولاته.

(4) الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة: الشعر والشعراء، تح: وشرح أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ، المقدمة، ص63، وثمة رأي ابن قتيبة النقدي في رفضه تقديم القديم لقدمه وحسب.

(5) درويش، أحمد: مدخل إلى دراسة الأدب في عُمان، دار الأسرة للطباعة والنشر، مصر، 1992م، وثمة رأيه بأن عصر الضعف اللغوي في الوطن العربي قبله في عُمان عصر قوة اللغة النباهنة، وقوة النثر الأدبي اليعاربة، ص121 وما بعدها، ص142.

(6) يُنظر: الذهلي، حمد بن سالم: الجهود النحوية في عُمان، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، 2009، التمهيد، وتنتظر النسخة المحققة، جامعة نزوى، المقدمة.

(7) يُنظر: الخليلي، سعيد بن خلفان بن أحمد 1287هـ: سمط الجواهر الرفيع في علم البديع، تح: محمد بن يحيى بن سفيان الراشدي، ط1، ذاكرة عُمان، مسقط، 2015م، مقدمة التحقيق.

## ب- في إشكالية البحث وتساؤلاته:

قد لا تطول وقفنا هنا لأهمية الدخول في فحوى البحث ومضمونه، ولكن هذا لا يمنع من عرض سريع لأهم إشكالية تواجه الباحث والقارئ على حدّ سواء، إذ من المعروف أن للبلاغة تاريخاً طويلاً، وهو حافل بما كان يتنافس فيه الأدباء والشعراء، ويتسابق فيه الخطباء والبلغاء، وكل يعبر عن مشاعره وخلجات صدره بما أوتي من لسان وفصاحة تنضح بالذوق الرفيع منذ العصر الجاهلي وعبر العصور التالية له، إلا أن البلاغة ومن خلال ما أشير إليه لم تعد مجرد أقوال يتفوه بها العظماء، وصور يفتن بها الأدباء، بل صارت علماً قام على تدوينه والعناية به، وما يشتمل عليه من أساليب متعددة وصور جمالية متنوعة أكابر العلماء وأصحاب الباع الكبير بالعربية.

ولكن ما إن تتأخر المرحلة الزمنية لما استنبطه العلماء من كلام العرب وتراثهم في الشعر والنثر، وما ألقوه في هذا المجال من توجهات البلاغة وأطيافها المتعددة حتى تغدو البلاغة قوالب جامدة لا تتغير ولا تتبدل، فنمطها واحد تقريباً منذ السكاكي 626هـ في مؤلفه مفتاح العلوم<sup>(8)</sup>، ثم من جاء بعده أمثال الخطيب القزويني 739هـ وما استحدثوه من مختصرات وشروح<sup>(9)</sup>، وهكذا حتى في المؤلفات البلاغية الحديثة فالقاسم المشترك لما ذكرناه أو أعرضنا عن ذكره إنما هو نمطية واحدة تتكرر في كل مؤلف مهما امتد به العمر أو تأخر به الزمن.

والمراد بما ذكر هو هذه الاتباعية التي صارت عليها البلاغة العربية، إلا من ذلك التوجه إلى تغيير بعض الأمثلة والشواهد في تطبيقاتها العامة، ألا يوافق ذلك إشكالية وتساؤلات عدة؟ ولا سيما ما يطرحه العنوان من أمر المنهج التعليمي، وملامح التجديد، فهل من منهج تعليمي اختص به العلامة الفارسي إذا كان العلم الذي يدرسه قد غدا تقليداً وحسب، وأين يمكن أن نقع على ملامح من التجديد فيما هو مُعاد ومكرر؟، فهذا ما سيسعى البحث للإجابة عنه، فيقف على

(8) ينظر: السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه هوامشه نعيم زررور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1470هـ-1987م.

(9) ينظر: القزويني، الخطيب جلال الدين أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبدیع، مختصر تلخیص المفتاح، دار الجیل، بیروت.

المنهج التعليمي لتأليف الشيخ، وإن كثر فيه التقليد، فمثل هذا التقليد له أصوله المحيطة به والمتعلقة فيه، مما شاكل فيه وقارب نظريات تعليمية حديثة، وكذلك ملامح التجديد لا تقل شأنًا عن المنهج المتبع، وهو مما سنتعرف عليه تباعاً من خلال العناوين الجديدة الآتية:

### مادة البحث:

### أولاً: بين يدي المؤلف والمخطوطة:

سنقف من خلال هذا العنوان على أهم النقاط الخاصة بالشيخ الفارسي من الوجهة التعليمية قدر الإمكان، ولاسيما أن مثل هذا التوجه التعليمي سيترك أثره لا محالة في مؤلفاته، وخاصة في مخطوطته (تقريب الأذهان إلى علمي المعاني والبيان)، إذ كانت على ما بدا من إتمام الشيخ لكتابتها بأخر عمره، وهذا يعني أنها عصارة الفكر والعلم الذي وقف عليه متعلماً وعالمًا ومعلمًا.

فالمؤلف هو الشيخ العلامة القاضي منصور بن ناصر بن محمد بن سيف الفارسي الخروصي.

وبعد أن أصبح ذا مكانة علمية سامقة في عهد الإمام الخليلي، افتتح مدرستين توافد عليها طلاب العلم، الأولى في موطنه فنجان، والأخرى في عاصمة الإمامة نزوى، وتخرج من هاتين المدرستين علماء وأدباء وقضاة. فلا غرو مع هذه الإشارة إلى وضع المؤلف العلمي أن يسأله بعض طلبته أن يضع لهم رسالة في علمي المعاني والبيان، مما ذكره الشيخ العلامة في مقدمة كتابه، فقال: (فقد سألني بعض الإخوان من الطلبة أن أضع لهم رسالة في علمي المعاني والبيان، واخترع علي أن تكون بعبارة واضحة البيان، وسهلة المأخذ قريبة المعاني خالية من صعوبة المسلك، يفهمها ركيك<sup>(10)</sup> الفهم، ويتناولها الفتى، فأعرضت إعراض من لم يتأهل للمراد، وتوقفت توقف من لم يكن من أهل ذلك. ثم طلب إلي ثانية، فصرت بين إقدام وإحجام،

---

(10) الركيك، هنا بمعنى القليل، ورجل ركيك العلم: قليله، اللسان ركيك.

فكّر في الطلب أخرى، فرأيت إجابته لمراده، فأجبتة لما طلب، فشمرت عن ساعد الجد والاجتهاد...<sup>(11)</sup>.

فهذه نبذة عن المخطوطة، وبدء العمل بها وهي -كما لا يخفى- غنية بدلالاتها مشيرة بمعانيها وألفاظها إلى ما نحن بصدده من أنه كان للشيخ منهج في تأليف هذا المخطوط ورأي في تجديد ما يمكن تجديده من هذا العلم، قوامه وضوح البيان، وسهولة الوصول للمعنى، وقربه من الأذهان. ولم يكن انشغاله إبان تلك الفترة بأحوال الناس وأمور العباد<sup>(12)</sup>، ليمنعه مما أخذ به من منهج تعليمي وتجديد في هذا العلم مما سنقف عليه:

### ثانياً: المنهج التعليمي في مخطوطة تقريب الأذهان:

يبدو أن الشيخ الفارسي، وإن عايش معطيات الحضارة العربية الإسلامية وما تشتمل عليه من علوم مختلفة سار الناس على تلقّيها وتدريسها على طرائق الأقدمين دونما تجديد يذكر، أو هو قليل يشار إليه بقوة، إلا أنه -والحق يقال- ومن خلال النموذج الذي بين أيدينا لتأليفه وتدرّسه يعد من متقدمي عصره، وممن قارب غاية مرضية من المنهج التعليمي التي اختطه أو رضي عنه ممن سبقه مع ملامح بينة من التجديد الذي خالط معظم عطاءاته العلمية، ويمكننا ملاحظة ذلك من خلال الأساسيات التعليمية الآتية:

أ- التماسه السهولة واليسر: ووضح ذلك من سيمياء العنوان الذي تخيره في كتابه في البلاغة (تقريب الأذهان إلى علمي المعاني والبيان) وكان وضعه المؤلف لشدة هذا العلم ممن قل فهمه أو كثر، فكل يأخذ بنصبيته، وهنا حومة الوغى، فالمبتدئ صنو المتقدم في الفهم والوصول إلى معطيات هذا العلم، وأما أن يجد المبتدئ حاجته ويخرج المتقدم خاوي الوفاض صفر اليدين فهذا مما لا نجده في هذا التأليف الجليل، وهو قوله عن عبارته: «سهلة المأخذ،

<sup>(11)</sup> المخطوطة المحققة، جامعة نزوى، ص38.

<sup>(12)</sup> تنظر المخطوطة المحققة، ص39.

قريبة المعنى، خالية من صعوبات المسلك، يفهمها ركيك الفهم، ويتناولها الفتى»<sup>(13)</sup>. فهذه أساسية من أساسيات التعليم والتدريس.

ب- وثمة أساسية ثانية يمكننا إدراكها للوهلة الأولى وهي ملاءمة العنوان للموضوع المطروق، فالتأليف في الاتجاه البلاغي كاملاً والعنوان كذلك: «تقريب الأذهان إلى علمي المعاني والبيان» على أن العنوان، هنا، فيه مسحة من الاختصار والتنغيم الموسيقي، إذ لم يقتصر الكتاب على هذين العلمين، فقد أتبعهما بعلم البديع وهو الفن الثالث من فنون البلاغة<sup>(14)</sup>، وكان تناول في هذا الفن المحسنات المعنوية والمحسنات اللفظية.

ج- ومن أساسيات التعليم كذلك ألا ترى في أي مؤلفٍ أو كتاب استطراداً يخل بالكتاب ويفقده قيمته، فمثله كالجسم غير المتوازن في قوامه واعتداله، كأن يكون البطن مترهلاً مندحاً وسواه ضعيفاً، ويلحق بهذا التوازن بالأقسام، إنه وإن طالت بعض الأقسام عن بعضها الآخر كما في مخطوطة الشيخ، حيث اتسع القسم المخصص لعلم المعاني، فهذا ناشئ عن طبيعة هذا العلم، وكثرة مباحثه التي تفوق في معطياتها وجزئياتها المتنوعة علم البيان وعلم البديع، فالشيخ بعد أن وقف بتأن وتؤدة على الفصاحة والبلاغة والقول فيها في حدود أربع عشرة صفحة، انتقل إلى علم المعاني بما يزيد عن مئة صفحة، ثم عاد إلى علم البيان والبديع بحدود خمسين صفحة لكل منهما، إنها ضرورة بحثية محضة نابعة من معطيات علم المعاني وتنوع أبحاثه<sup>(15)</sup>.

د- وقد يكون التدرج في التعليم<sup>(16)</sup> بمعطياته المتعددة أهم ما يسم منهج الشيخ فما هو ذا ينتقل من العام إلى الخاص، ومن الكل إلى الجزء، ومن الجزء إلى الكل، ومن السهل إلى الصعب، فلو أننا تصفحنا المخطوطة المحققة بدءاً من المقدمة التي أرادها أن تكون مقدمة علم لا مقدمة كتاب فحسب، لوجدنا مثل هذا التوجه، يقول: "والمقصود بها -أي المقدمة- هنا الفصاحة

(13) المخطوطة المحققة، جامعة نزوى، ص38.

(14) المخطوطة المحققة، جامعة نزوى، ص246، 335.

(15) المخطوطة المحققة، المقدمة، ثبت المحتويات.

(16) مصاروة، نادر: طرائق تدريس اللغة العربية في ضوء التربية الحديثة، مجلة جامعة إلكترونية، أكاديمية القاسمي، فلسطين، العدد7، ص305.

والبلاغة وانحصار البلاغة في علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، والارتباط هنا نفس المطلوب من تأليف هذا الكتاب، فإن المقصود بالذات من تأليفه العلوم الثلاثة لا المقدمة فقط...»<sup>(17)</sup>.

ومن باب التدرج من العام إلى الخاص ما وقف الشيخ عنده من القول في الفصاحة والبلاغة، وما هو ما قدم به للكتاب - كما أسلفنا - «لأنها كالأساس في الفنون الثلاثة، فذكرها أولاً كاللزام، فإن مباحث الفصاحة والبلاغة هي في سلامة المفرد والكلام والمتكلم من النقد الخارج عن دائرتهما»<sup>(18)</sup> ومرة أخرى يدلغ الشيخ إلى هذا التقديم للعام على الخاص فيقول وقد قدم الفصاحة على البلاغة: «لأنها أعم من البلاغة لفظاً ومعنى، فكل فصيح بليغ، وليس كل بليغ فصيحاً، ثم إن الفصاحة تطلق على الكلمة المفردة وعلى الكلام المركب وعلى المتكلم، فيقال كلمة فصيحة، وكلام فصيح، ومتكلم فصيح..»<sup>(19)</sup>.

ومن أمثلة ذلك مما ورد في أثناء الكتاب حديثه عن المجاز وانقسامه، يقول في القسمة، وقد قدم الحقيقة على المجاز، وأطرافه عامة على ما خص به طرفاً دون طرف: «اعلم أن المجاز يقسم باعتبار طرفيه أربعة أقسام، وطرفاه المسند والمسند إليه، الأول أن يكون طرفاه حقيقتين، الثاني أن يكونا مجازين، الثالث أن يكون المسند إليه مجازاً والرابع أن يكون المسند مجازاً»<sup>(20)</sup>.

وفي مجال التدرج التعليمي انتقال الشيخ من الكل إلى الجزء، وذلك في كل ناحية من نواحي كتابه، فنراه يخلص من الفصاحة والبلاغة إلى علم المعاني وهو الأعم والأشمل من علوم البلاغة ثم إلى علم البيان وأخيراً إلى علم البديع<sup>(21)</sup>، وهو في كل ذلك يحقق قاعدة الانتقال

---

(17) المخطوطة المحققة، ص 40.

(18) المخطوطة المحققة، ص 41.

(19) المخطوطة المحققة، ص 42.

(20) المخطوطة المحققة، ص 66.

(21) المخطوطة المحققة، ص 54، 193، 246.



والتدرج من الكل إلى الجزء<sup>(22)</sup>، ففي علم المعاني بدأ بأحوال الإسناد الخبري عامة ثم أحوال المسند إليه، فأحوال المسند، فأحوال متعلقات الفعل<sup>(23)</sup>.

وأما تدرج الشيخ من السهل إلى الصعب، فإنك تلمسه في كل جزئيات الكتاب، فعلم البيان مثلاً بدأه بالتشبيه، وهو الأسهل من معطيات علم البيان من مجاز واستعارة وكناية<sup>(24)</sup>، قولاً واحداً، وهكذا دخل في تعريفات التشبيه وأدواته وأركانه، وكل ذلك مصحوب بالشواهد الدراسية والقرآنية ونحو ذلك.

هـ- إن ما سبق الحديث عنه يقود إلى أساسية جديدة في التعليم، لا بدّ أن الشيخ قام عليها أصالة، فإن كان في ذلك شيء من أن يفتن الشيخ لذلك أو لا يفتن، فإن قواعد التدرج في التعليم مما وقفنا عليه آنفاً تقود من غير شك إلى هذه الأساسية، ونعني بها سهولة توصيل المعلومة، وتحقيق مهارة التواصل مع الآخرين، فكيف إذا أضيف إلى ذلك تنبيهاته التي تأتي تباعاً في كل صفحات المخطوطة، وهي تنبيهات تقوى بها اللغة ويميل المُخاطب من خلالها إلى الفهم وتأكيد المعنى وغرسه في النفس، ومثال ذلك ما ذكره في باب أحوال الإسناد الخبري، فتراه يقول: «تنبيه اعلم أن المخبر يلزم أن يقصده بخبره إفادة المخاطب لأحد أمرين لا ثالث لهما»<sup>(25)</sup> فكلمة (اعلم)، هنا، لا يُراد بها فعل الأمر القسري، وإنما المراد أوسع من ذلك أي ليعلم، وليكن منك علم بهذا الأمر وحدوده، ونحو هذا قوله فصل في انقسام الإسناد: (اعلم أن الإسناد ينقسم إلى حقيقة عقلية وإلى مجاز عقلي...)<sup>(26)</sup> وقد يأتي التنبيه مجرداً من الفعل اعلم، كقوله: "تنبيه: المجاز العقلي يجري إسناده في الإضافة والإيقاع، كما يجري في الفعل للملابسة إذ لا بد من اعتبارها، مثاله في الإضافة أعجبنى إنبات الربيع البقل، وأعجبنى جري النهر)<sup>(27)</sup>

(22) قد يكون التدرج أيضاً من الجزئي إلى الكلي، وليس من الضروري أن يكون من الكل إلى الجزء، ينظر طرائق تدريس اللغة العربية في ضوء التربية الحديثة، مرجع سابق، ص306.

(23) المخطوطة المحققة، ص54، 129.

(24) المخطوطة المحققة، ص194.

(25) المخطوطة المحققة، ص54.

(26) المخطوطة المحققة، ص61، 63.

(27) المخطوطة المحققة، ص64، وانظر من هذا القبيل من وجوه إيصال المعلومة بسهولة: ص72، 73، 197، 198.

والمهم في ذلك هذه العلائق التي أقامها المؤلف مع المتلقي، وحفاظه بقوة على إيصال المعلومة إليه بشكل واضح جيد جلي محبب.

و-ولعل الأساس الرئيس فيما سبق كله (اللغة) بكل ما تعنيه هذه الكلمة من آلية التواصل بين المرسل والمتلقي، وكذلك الرسالة بما تحمله من تأثيرات المرسل لتصبح أهلاً للقبول والتلقي عند السامع والمتلقي، فالمراد من ذلك واضح بيّن، وهو استعمال اللغة المألوفة، والمفهومة الواضحة، وهو ما سنراه على أحسنه وتمامه في استعمال الشيخ اللغة التي سار عليها.

ومما يمكن الإشارة إليه في هذا المجال من أهمية اللغة وضرورتها في العملية التعليمية أن اللغة تمثل جزءاً أساسياً في أي مجتمع، فهي إذن نوع من المؤلف يتم اكتسابها كأى مادة أخرى في حياتنا اليومية، وهذا المفهوم كان سائداً في مطلع هذا القرن بحيث ينظر إلى اللغة على أنها مجموعة من الحقائق، على المعلم أن يلقنها للمتعلم تلقيناً، وأن يحفظها الأخير عن ظهر غيب، وبقدر هذا الحفظ يعد متمكناً من اللغة<sup>(28)</sup>.

وتلعب الممارسة والتكرار دوراً أساسياً في اكتساب المهارة اللغوية أو العلمية أياً كانت، فإذا كان الطالب يتعلم قاعدة نحوية معينة، فإنه لا يكفي أن يحفظها ويعيدها تكراراً ألياً بل لا بد من ممارستها في مواقف الحياة بصورة طبيعية<sup>(29)</sup>.

ولو أننا مضيّنا ننظر إلى علم البلاغة بفروعه المختلفة النظرة المشار إليها إلى اللغة، ولا مانع من ذلك قطعاً، بل إن الطالب الناشئ على تعلم العربية نحواً و صرفاً، لغة وأدباً لن يضيره أبداً أن يتلقف علوم البلاغة بطرائق تعلم العربية نفسها، بل هو أدعى لقبولها وثباتها عنده، ولاسيما إذا نظر إليها عادة من العادات السلوكية، وأمكنه اكتسابها بالممارسة والتكرار والعودة إليها حيناً بعد حين.

(28) طرائق تدريس اللغة العربية في ضوء التربية الحديثة، مرجع سابق، ص307.

(29) المرجع السابق، ص308.

وفي نظرة شاملة للمخطوطة من أولها إلى آخرها نرى هذا التوجه العلمي الذي لا يفرق بين أن يكسب الطالب اللغة عامة أو يتمرس في فرع من فروعها، وربما زاد من سرعة اكتسابه علوم البلاغة أنه في الأصل مكتسب للغة، وهنا، وفي أجزاء المخطوطة كاملة التوجه لاكتساب هذا العلم بكل ما يمثله من فنون وعلوم.

وفي التدايل على ما ذهبنا إليه من أن الشيخ أفاد من اللغة وطوعها لما يبتغيه من تأليف بلاغي يفيد فيه الطالب المملى عليه أو المتلقي فيما بعد، أو السامع أياً كان شأنه، فيمكننا أن نفتح صفحات المخطوطة من غير ما اختيار أو انتقاء، وعلى أي صفحة نقع فإننا نجد تلك الألفة والموافة بين اللغة والبلاغة، فكأنهما صهرا من بوتقة واحدة، فاللغة هي البلاغة، والبلاغة بعلومها مجتمعة أو متفرقة هي اللغة.

ومن الأمثلة لما ذكرناه دونما حصر - كما مرت الإشارة- أن نقرأ في إحدى صفحات المخطوط قوله: «ومن خلاف مقتضى الظاهر التعبير بالمفرد عن المثني، والتعبير بالمثني عن المجموع، والتعبير بالمفرد عن المجموع... فمثال الأول قول الشاعر (الوافر):

فرجّي الخير وانتظري إياي إذا ما القارظ العنزى أبا

فعبّر بالقارظ، وهما قارظان، وقوله جل وعلا: "والله ورسوله أحق أن يرضوه" [التوبة: 62]، وأصله أن يرضوهما، ومثال الثاني قوله تعالى: "ثم ارجع البصر كرتين" [الملك: 4] أي كرات، وقول الملبي: «أبيك وسعديك، أي تلبية بعد تلبية، وإسعاد بعد إسعاد، ومثال الثالث: وذبيانة قد دلت بأقدامها النعل، وأراد به النعال<sup>(30)</sup>.

ولو أننا فتحنا المخطوطة مرة ثانية لوجدنا، وتحت عنوان (المحسنات اللفظية) باب: (هذا الباب يتضمن أنواع البديع اللفظي، وسنذكرها مرتبة إن شاء الله تعالى، فصل: من أنواع البديع اللفظي يسمى الجنس والمجانسة والتجنيس، وهو ثمانية أنواع، النوع الأول: الجنس

(30) المخطوطة المحققة، ص103 ص104.

التام، وهو أن يتفق اللفظان في أعداد الحروف وفي أنواعها وتوفيقها<sup>(31)</sup>، وفي هيئتها وهذا النوع أقسام: القسم الأول، ويسمى المماثل، وهو أن تكون الكلمات من نوع واحد بأن تكونا اسمين أو فعلين أو حرفين، فالاسمان قوله تعالى: وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ

سَاعَةً كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ٥٥ [الروم/55] وقوله تعالى: «يَكَادُ سَنَا بَرْقَةٍ يَذْهَبُ بِالْأَبْصِرِ ٤٣ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ٤٤» [النور / 44،43] وقوله صلى الله عليه وسلم: «من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف»<sup>(32)</sup>....

ز- ويتبع أساسية اللغة المألوفة والمفهومة الواضحة شرح المفردات الغريبة وتوضيحها، وهو مما يساعد المتلقي على الفهم، وقد حقق الشيخ هذا العنصر التعليمي فيما ذهب إليه من تأليف، والأمثلة كثيرة، وقد بدأها الشيخ منذ اللحظة الأولى للتأليف، ها هو ذا يبين عن ضبط كلمة المقدمة وما تستعمل له، فيقول: «اعلم أن لفظ المقدمة يجوز في الدال الفتح والكسر والمقدمة على قسمين: مقدمة علم، ومقدمة كتاب، فالأول اسم للمعاني المقصودة من العلم المراد، والثاني اسم للألفاظ الموضوعية في ذلك الكتاب»<sup>(33)</sup>.

على أن الشروح لدى الشيخ لم تقتصر على الكلمات، بل تناولت المعاني في الشعر وفي الرجز أيضاً، ونمثل لذلك بما اشترطه للفظ ليكون فصيحاً، فقال: «والثاني: أن يكون سالماً من الغرابة، والمراد بالغرابة كون الكلمة وحشية خفية المعنى غير مأنوسة في لسان العرب، كقول العجاج (الرجز):

ومقلة وحاجبا مزجبا      وفاحماً ومرسنا مسرجاً<sup>(34)</sup>

(31) لعله قصد ترتيبها المحقق.

(32) أخرجه الديلمي عن عبدالله بن عمرو. الفردوس بمأثر الخطاب 585/3 المحقق.

(33) المخطوطة المحققة، ص40.

(34) العجاج، ديوانه، تح: الدكتور عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس، دمشق، 1971م، ص34.

فالمرسن (الأنف) والمسرجُ (السيف السروجي) المنسوب إلى سروج وهو حداد يعمل السيوف، وإليه تنسب السروج السروجية، فالغرابية في كلمة مسرجا؛ لأنه لا يفهم ما مراده بتشبيه الأنف هل هو بالسيف السروجي في الدقة والاستواء أو في الصفاء واللمعان بالسرج؟ وتحقيق الغرابية فيه أن النسبة إلى الشيء لا تفيد التشبيه به»<sup>(35)</sup>

وقد يأتي الشيخ بالمعنى يشرحه بما يوافق علم البلاغة أكثر من التفاته إلى اللغة وإن وافق إحدى وجوهها، ومثال ذلك شرحه البديع، قال: (البديع في اللغة: الغريب، وفي الاصطلاح هو الغريب المستحسن لا مطلق الغريب)<sup>(36)</sup>، وقد تناول المحقق الكلمة من وجهة لغوية محضة، فقال في حاشيته: «بدع: البدع: إحداث شيء لم يكن له من قبل خلق ولا ذكر ولا معرفة، والله بديع السماوات والأرض، أي ابتدعهما ولم يكونا من قبل ذلك شيئاً»<sup>(37)</sup>. وفي معرض شرحه لألفاظ من القرآن الكريم قوله: (وأما (أنى) فإنها تكون تارة بمعنى كيف ويجب أن يليها الفعل نحو: «فَأَتُوا حَرَثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ [البقرة/223] أي كيف شئتم على أي حالة من الحالات، إذا كان المأتي واجداً، وتارة تكون بمعنى من أين، نحو: «قَالَ يُمَرِّمُ أَنَّى لَكَ هَذَا ۗ» [آل عمران/37]، أي هذا الرزق الذي يأتيك كل يوم وبعضه في غير أوانه)<sup>(38)</sup>.

ح- ومن أساسيات التعليم أيضاً، ومن منهجه المصيب الذي يحقق التكاملية العلمية رابطاً بين المادة النظرية والتطبيقية تنوع أساليب الاستشهاد للمادة النظرية ما بين قرآن كريم، وحديث نبوي شريف، وأمثال وكلام عربي أصيل، وأشعار وأرجاز على مر الأزمنة والعصور العربية.

فمن شواهد القرآنية ما مررنا ذكره في أكثر من موضع، ومنه أيضاً في معرض الحديث عن خلاف مقتضى الظاهر في الاستعمال العربي لضرورة ما ظاهرة أو خفية (قوله تعالى عن قول الكفار: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا» [البقرة/275])، وأصله إنما الربا مثل البيع، فافهم، أرادوا تشبيه الربا بالبيع، لا البيع بالربا، وإنما قلبوا حكم دعواهم في إباحته وتحليله زيادة

(35) المخطوطة المحققة، ص43.

(36) المخطوطة المحققة، ص247.

(37) ينظر: كتاب العين بدع 121/1 المحقق.

(38) المخطوطة المحققة، ص145.

في غلوهم وكفرهم بالإفراط في مجاهرتهم حتى جعلوه الأصل لمساواته للبيع<sup>(39)</sup>، ويتابع الشيخ استشهاده التوضيحية من القرآن الكريم فيأتي (بقوله تعالى رداً على الكافرين وتبكيئاً لزمهم) «وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا» [البقرة/275]<sup>(40)</sup>، ويقول أيضاً وقد خرج إلى بسط المعتقد، وعرض الرأي الإسلامي كاملاً في الربا المحرمة، يقول: (ولم يتوعد سبحانه وتعالى أحداً بمثل ما توعد به أكل الربا بقوله: «فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» [البقرة/279]<sup>(41)</sup>).

وهكذا تنوعت الشواهد القرآنية وتعددت في كل مبحث من مباحث الكتاب حتى بلغ ما استشهد به الشيخ رحمه الله تعالى (352) ثلاثمئة واثنين وخمسين شاهداً قرآنياً.

وأما الحديث النبوي فلم يقصر باع الشيخ عن الاستشهاد به والتدليل به على القاعدة والفكرة تطبيقاً وإيضاحاً وتفسيراً، والشواهد كذلك تملأ الكتاب، وللاستئناس بذلك نورد موضعاً أو موضعين من هذا الاستشهاد، ففي حديث الشيخ عن التوسيع من مقامات الإطناج، قول: (التوسيع لغة: القطن المندوف أي المجرود، وفي الاصطلاح: أن يأتي المتكلم بلفظ مثني يفسره بعده باسمين ثانيهما معطوف على الأول كقوله صلى الله عليه وسلم: «يكبر ابن آدم ويكبر معه خصلتان: الحرص وطول الأمل»<sup>(42)</sup>، وقوله: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»<sup>(43)</sup>، وقوله: «للمرأة ستران القبر والزوج»<sup>(44)</sup><sup>(45)</sup> وعلى هذا النحو في أكثر مباحث الكتاب الاستشهاد بالحديث النبوي حتى بلغ ذلك (93) استشهاداً نبوياً كريماً.

(39) المخطوطة المحققة، ص102.

(40) المخطوطة المحققة، الموضوع السابق.

(41) المخطوطة المحققة، ص103.

(42) أخرجه البخاري عن أنس بن مالك في باب الرقاق، والحديث في الصحيح بلفظ: يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان: حب المال وطول العمر، ينظر صحيح البخاري 90/8، المحقق 183.

(43) أخرجه الترمذي في سننه، والكتاب من تحقيق وتعليق أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، ط2، طبع مصر، البابي الحلبي، 1395هـ، ج2، 609، وتنتظر المخطوطة المحققة، ص183.

(44) أخرجه الطبراني عن ابن عباس، وجاء الحديث في معجمه بلفظ آخر الزوج والقبر، المعجم الصغير، تحقيق محمد شكور محمود، ط1، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت 1405هـ، 280/2، وتنتظر المخطوطة المحققة، ص183.

(45) المخطوطة المحققة، ص183.

وفي مجال الشعر والاستشهاد على المعطيات البلاغية المختلفة يمكننا أن نذكر ببعض الشواهد وكيف جاء بها، على أنه يحسن التذكير أولاً أن عدد استشهادات الشيخ بأبيات الشعر والرجز بلغت (275) خمساً وسبعين ومئتي شاهد شعري، من غير أنصاف الأبيات، وجاء الشعراء المستشهد بهم من عصور الأدب العربي كله، من نحو زهير بن أبي سلمى ص296، وبشر بن أبي خازم ص102، والنابغة الذبياني ص288، وعلقمة بن عبدة ص98، وأبي الطمحان القيني ص83، وغيرهم من الجاهليين، ومن الإسلاميين نذكر: الخنساء ص215، والعرجي ص76، 291، وذو الرمة ص190، وقيس بن دريح ص280، وغيرهم، ومن العباسيين وسائر العصور الإسلامية نذكر ابن خفاجة (الأندلسي) ص218، والمتنبي ص44، 179، 216، 286، وابن المعتز ص207، 232، وأبا فراس ص204، وأبا العلاء المعري ص89، وبشار بن برد ص219، وأبا العتاهية ص274، وابن الرومي ص300، وأبا مسلم البهلاني (العُماني) ص283، وسوى ذلك كثير، وإنما ذكرت ما ذكرته تمثيلاً لا تأصيلاً.

وأما كيف كان الشيخ يورد الشاهد الشعري مستعيناً به على الشرح البلاغي فنورد النص الآتي في مقام حديث الشيخ عن أنواع من البديع المعنوي ونعني به (مراعاة النظر)، يقول: (ويسمى التناسب والتوفيق والائتلاف والمؤاخاة، وضابطه، أن تجمع أمراً في كلام وتذكر ما يناسب لا بالتضاد).

وهذا النوع أصناف: الصنف الأول أن يكون التناسب في اللفظ والمعنى، كقول زهير

أثافي سفحاً في معرّس رجل      ونؤياً كجذم الحوض لم يتنم

فلما عرفت الدار قلت لربعها      ألا عم صباحاً أيها الربع واسلم

(الطويل).

فإنه أتى في البيت الأول بألفاظ غريبة غير مستعملة، ثم أتى في البيت الثاني بألفاظ معروفة مستعملة..(46).

أما وقد أتينا على المنهج التعليمي للعلامة الشيخ منصور الفارسي غير مستأنسين لحديث من غير هذا المنهج ودلالاته المختلفة، من نحو ملاءمة العنوان للموضوع، وعدم الاستطراد المخل، ومحاولة التوازن بالأقسام من غير ما تفرضه طبيعة الموضوع، ومن نحو التدرج في التعليم من العام إلى الخاص، ومن الكل إلى الجزء، ومن السهل إلى الصعب، ومن نحو سهولة توصيل المعلومة واستعمال اللغة المألوفة والمفهومة والواضحة، وما تبع هذا من شرح المفردات الغريبة وتوضيحها، وما حققه الشيخ من عناصر الاتصال والتي توازي المرسل والمرسل إليه والرسالة الجيدة، والأداة في ذلك كله اللغة، ناهيك بما وقفنا عنده من تنوع أساليب الشيخ ولا سيما في استشهاده على المادة النظرية في الكتاب بالمادة التطبيقية كاستشهاده بآيات القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر العربي في العصور العربية المختلفة بدءاً من الجاهلية إلى أيام الشيخ نفسه. فهذا ركن البحث ومادته الأصلية، وأما ركنه الثاني والمزمع الوقوف عليه أننا سنلتقط من هذا المنهج ومن سواه مما كتبه الشيخ وأبدع به ملامح التجديد، إذ لم يكن الشيخ على ما بيناه مجرد ناقل أو متبع، بل كان نبراساً في منهجه التعليمي ومحاولته المجيء بالجديد على ما سنأتي عليه إن شاء الله تعالى في الصفحات الآتية:

### ثالثاً: ملامح التجديد في مخطوطة تقريب الأذهان:

ليس المراد بملامح التجديد في هذه المخطوطة أننا نطلب من الشيخ أن يكون مجدداً لعلم البلاغة، وهو العلم الذي أخذ صورة تقليدية بعدما أثمر كل الإثمار على يد عبدالقاهر الجرجاني ومن سبقه من النقاد والبلاغيين العرب، ولكننا نحاول في هذه العجالة تبين ما توجه إليه الشيخ من تجديد وما احتواه عمله العلمي من تفتح باتجاه المفيد والجديد مما يمكن استثماره لدى



الواردين على هذا العلم وتنميته؛ ليصبح صرحاً علمياً تتفتح مادته النظرية وتطبيقاته العملية بالخير والعطاء.

أ- فمن ذلك أنك تلاحظ في المخطوطة خطتها وبرنامجهما وكثير من تطبيقاتها العملية حيازة الشيخ على معطيات علمية حديثة، فإذا كان بلوم وزملاؤه قدموا في أواخر القرن الماضي تصنيفات مهمة للأهداف التعليمية السلوكية في المجالات المعرفية والوجدانية والمهارية<sup>(47)</sup>، على أنهم أرادوا بالمجال المعرفي: الأهداف التي تتعلق بالمعرفة والمهارات والقدرات العقلية، إن الشيخ وإن لم يعين أهدافاً أو يحدد على طرائق المحدثين، ولكنك واجد ذلك من خلال المعارف التي يعج بها الكتاب، ونحو ذلك غرس المهارات بما يثيره من حوارات في كل مبحث من مباحثه، ومن خلال التنبيهات المتعددة التي لا تغادر أي صفحة من صفحاته فكأنه يريد بقرائه ومتلقيه أن يحصل على هذه المهارة العلمية ويتقنها أيما إتقان.

ب- وأما عن المجال الوجداني فحدث ولا حرج وقد مر بنا أنفاً كيف أن الشيخ كان في طرحه العلمي لقضية جريان الكلام على خلاف مقتضى الظاهر محتاجاً لشاهد واحد مثلاً من القرآن الكريم، وهو قوله تعالى حكاية عن قول الكفار: "ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا" [البقرة: 275] وأصله إنما الربا مثل البيع فإذا بالشيخ يشبع الموضوع دراسة وعلماً وشواهد جديدة تشع منها لغة العاطفة الصادقة والأحاسيس المتقدمة لحمل القارئ على فهم أحكام الربا كاملة والأخذ بها بعيداً عن الوقوع ضمن دائرة الذين حاربهم الله لتوغلهم في مثل هذا الأمر وإعراضهم عن تنفيذه، وهو قوله تعالى: "فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله" [البقرة: 279] (48) ونحو ذلك لما عرض لقضية التوشيع من باب الإطناب واستشهد له بحديث نبوي وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «يكبر ابن آدم ويكبر معه خصلتان: الحرص وطول الأمل»<sup>(49)</sup> أرفده بستة أحاديث وبعضها ما أسنده إلى راويه كابن عباس وبعضها الآخر ذكر تخريجه عن الترمذي والطبراني وكان يغنيه عن ذلك ذكر الحديث لولا الوجدانيات والأحاسيس التي طفحت

(47) الكبيسي، فجر: اشتقاق الأهداف السلوكية، ورشة عمل، مكتب معايير المناهج، هيئة التعليم: www.edu.gov.qa

(48) المخطوطة المحققة، ص 102 ص 103.

(49) المخطوطة المحققة، ص 183.

بها روحه فأعطت هذا المد من الأحاديث النبوية الشريفة، وكل منها في معنى من المعاني الأخلاقية الرفيعة والتجربة الإنسانية الفريدة.

ج- ولو أننا عاودنا الكرة إلى الأهداف المعرفية مما خطه بلوم من نحو (التذكر) والمعني به القدرة على تذكر واسترجاع وتكرار المعلومات دون تغيير يذكر، فالمخطوطة وسعت هذا التذكر واسترجاع المعلومات وتكرارها وبناء الشيء على ما سبقه، ومن نحو (الفهم) وهو القدرة على تفسير أو إعادة صياغة المعلومات التي حصلها الطالب، فالمخطوطة كذلك أعيد فيها الكثير من المعلومات القديمة بصياغة جديدة ولغة جديدة وكأنها لغة الطالب نفسه، ومن نحو التطبيق، وهو القدرة على استعمال وتطبيق المعلومات والنظريات والمبادئ والقوانين في موقف جديد، والمخطوطة كذلك إنما تعبر عن قدرة الشيخ على استعمال علوم البلاغة السابقة في موقفه التألّفي الحالي وهو المخطوطة، وقس على ذلك التحليل الذي يعني القدرة على تجزئة أو تحليل المعلومات والمعرفة المعقدة إلى أجزائها، وكذلك التركيب وهو القدرة على جمع عناصر أو أجزاء؛ لتكون كلاً متكاملًا، وكذلك (التقويم) وهو القدرة على إصدار أحكام قيمة حول الأفكار والأعمال وهو مما كان يدأب عليه الشيخ في إكمال المعنى والإلمام به وحث الطالب على الفهم والمعرفة<sup>(50)</sup>.

على أن هذه المعلومات وإن كان مما يجب أن يتقنها الطالب نفسه فإن تطبيقها على مؤلّف الشيخ ومخطوطته لا يضر أبداً؛ لأن أمثال هذه المعاني إذا كانت قائمة في نفس الشيخ وخلده فإن ذلك سينتقل بالضرورة إلى الطلاب وشداة العلم.

د- ومن ملامح التجديد الربط العضوي والاتصال والوثيق بين ما عليه الشيخ من سلوكيات إيمانية ومعتقدات توحيدية تدفع إلى العناية الشديدة بكتاب الله عز وجل وبين ما هو واقع في التأليف، وما كتبه إلى الطلبة إذ فيه مثل هذا التوجه إلى طرح الفكر الإيماني في العملية التعليمية، فلا شيء يعلو على كتاب الله، وإلى هذا الهدف ترى سعي الشيخ دائماً، ومثل هذا

---

(50) اشتقاق الأهداف السلوكية، مرجع سابق.

الربط بين العالم الداخلي للإنسان والحقائق العلمية التي يدلي بها هو مما يجعل المتلقي قابلاً لهذا العلم ومقبلاً عليه بكل جوارحه، وخفايا نفسه وفكره، انظر إلى الشيخ وقد هاله من الشاهد الشعري توالي ثلاث إضافات وهو قول الشاعر (الطويل):

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي      فأنت بمرأى من سعاد ومسمع

يقول: (فجرعى مضاف إلى حمامة، وحومة مضاف إلى جرعى، والجندل مضاف إلى حومة، هذا راجع إلى الثقل والتنافر)<sup>(51)</sup>، لكنه من طريق آخر يحلي ذلك في ذهن السامع ويحمله على الإذعان لكلام رب العالمين، وقد تتالت فيه الإضافات من غير ما بأس أو إخلال بالفصاحة، يقول: (وتتابع الإضافات غير مخل بالفصاحة لورود ذلك في القرآن العظيم، نحو قوله تعالى: (قَالَ هَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ ۘ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۗ ۙ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۗ ۚ) [الشمس: 8-10]. وبما يوافق مقام الحال في الألفاظ ومثيلاتها ومراعاة كل كلمة مع مجاوراتها التي ارتبطت بها استشهد بقوله تعالى: (فِيهَا سُرُورٌ مَّرْفُوعَةٌ ۗ ۙ وَأَنْغَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۗ ۙ وَنَمَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ ۗ ۙ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۗ ۙ) [الغاشية: 13-16] فإن مراعاة المرفوعة للسرر والموضوعة للأكواب، والمصفوفة للنمارق، والمبثوثة للزرابي أمر يقتضيه الحال... إلى أن يقول منهياً شرحه وتعليقه: وبهذا المعنى الذي قررناه صار إعجاز القرآن في أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة حتى أعجز جميع الخلق بأن يأتوا بمثل آية منه)<sup>(52)</sup> أفلا يدل هذا على جديد ومحاولة بث التجديد في مناحي هذا التأليف؟!.

هـ- على أن هذا التنويع الذي رأيناه في الأساليب والاستشهادات مما يحسب للشيخ ويعد من ملامح تجديده كذلك، ولاسيما أنه لا يفرضه فرضاً، بل تراه ينتقل من أسلوب إلى أسلوب بشكل عفوي محض، فإذا لم يرق للسامع أسلوب الشعر ورأى فيه غضاضة فإن القرآن الكريم سيقع من نفسه موقع الإيمان والتسليم، إنه الكلام العربي المعجز إلى يوم يبعثون.

(51) المخطوطة المحققة، ص 49.

(52) المخطوطة المحققة، ص 51.

و- ومما جدد به أيضاً أنه في تأليفه عمد إلى الحوار والاستقراء مع ما يلزم من العرض، والحوار والاستقراء من أهم ما توجهت إليه التربية الحديثة في التعليم والتدريس المعاصر<sup>(53)</sup> يبين الشيخ مثلاً أن المجاز يصح وروده في القرآن؛ لأنه ليس بكذب باعتبار القرينة الدالة عليه، غير أنه يسلك لذلك سبيل الإقناع والاستقراء بالآيات القرآنية واحدة تلو أخرى: (فمن ذلك قوله تعالى" وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً" [الأنفال: 2] أسند زيادة الإيمان إلى الآيات مجازاً والزائد هو الله لا غيره، والآيات سبب للزيادة وقوله تعالى: (يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ) [القصص/4] أسند إلى فرعون مجازاً، والتذبيح واقع من أعوانه، وإنما فرعون سبب أمر به)<sup>(54)</sup> وتتوالي الآيات ويتابع الشيخ الاستقراء والحوار ليصل بالقارئ إلى بر السلامة والإقناع.

ز- وما أوردناه يشتمل على ملمح تجديدي كبير، فالمؤلف وضع الطالب المتعلم في مشكلة، وطلب منه أن يبدأ في حلها أو أن يعطي الحل اللزامة، ألم يذكر له قضية عدم ورود المجاز في القرآن؛ لأنه لا حقيقة له، وهذا مما يخل بالاعتقاد ويهزه ريثما يظهر المراد، ثم يأتي إلى الحل كما بينا تباعاً وفي آيات كثيرة محاولاً إقناع المتلقي بقوة أن القرينة الدالة على المجاز تعني وتفيد الصدق<sup>(55)</sup>.

ح- ولا تستبعد أن ترى من خلال نصوص المخطوط المتوالية التوجه إلى (العصف الذهني) ونعني به طرح الأسئلة وإثارة فكر المتلقي وعقله ودفعه ليفكر في الجواب الصحيح اللازم إزاء القضايا المطروحة عبر هذا المؤلف.

ط- وأخيراً، ولأهمية الحوار في التعليم وكونه ملمحاً تجديدياً لا غبار عليه، لا في قديم العلم والتعلم، ولا في حديثهما نورد هذا المثال لما كان الشيخ يحاور به متخذاً من نفسه محاوراً يبيث أسئلته للطالب ويحمله على التفكير مما مر آنفاً، ثم يأتي بالجواب الناصع المفيد: (تنبيه: تذكر من أدوات الشرط (إن) و(إذا) و(لو)... فأما إن فهي حرف دال على الاستقبال من الزمان

(53) ينظر: طرائق تدريس اللغة العربية في ضوء التربية الحديثة، مرجع سابق، ص322، 324.

(54) المخطوطة المحققة، ص68.

(55) تنظر المخطوطة المحققة، ص67 ص68.

ومعناه يقتضي الشك، والمراد بالشك الظن من المتكلم، والتوهم بوقوع جزائه، وعدم الجزم بوقوعه، فإن قلت ما تقول في قول المتكلم الموصي: إن مت فافعلوا كذا، مع أن الموت مجزوم بوقوعه عند التكلم، قلت: لما كان وقوع الموت غير معلوم وقت وقوعه عوامل معاملة المشكوك فيه، فإن قلت: فإن الشرطية في كلام الله عز وجل ماهي؟ قلت: لا تقع إن من الله جل وعلا في الأصل على معناها، بل إن جاءت من الله إما على الحكاية أوردها جل وعلا، وإما على معنى مؤول بما يليق بالمقام<sup>(56)</sup>.

---

<sup>(56)</sup> المخطوطة المحققة، ص 109.

## الخاتمة:

بقي بعد هذه الجولة في المنهج التعليمي وملامح التجديد في مخطوطة «تقريب الأذهان إلى علمي المعاني والبيان» أن ننهيها بشيء من النتائج والتوصيات لما تمخض عنه البحث في معطياتها المتنوعة على النحو الآتي:

- حافظت المخطوطة على توازنها في كل أقسامها على الرغم من كثافة المادة العلمية، فلا يرى الباحث فيها إطناباً مملأً، ولا إيجازاً مخلاً.
- مما ميز المخطوطة تدرجها العلمي من السهل إلى الصعب، ومن الكل إلى الجزء، ومن الجزء إلى الكل، وكل ذلك مع التطبيقات اللازمة للمادة النظرية المطروحة.
- حققت المخطوطة سهولة توصيل المعلومة، ومهارة التواصل مع الآخرين بسبب اللغة التي اعتمدها المؤلف، فلا تقعر ولا تكلف، وإنما الألفاظ والتراكيب في خدمة الشروح وتوضيحها.
- حققت المخطوطة أيضاً المنهجية التكاملية بربطها بين المادة النظرية والتطبيقية وتنوع أساليب الاستشهاد من قرآن كريم وحديث نبوي شريف وأشعار وأرجاز.
- لم يصرح المؤلف بالتجديد، ولكنه سار عليه بتحقيقه للأهداف التعليمية السلوكية في المجال المعرفي والوجداني والمهاري، على ما هي عليه معطيات التعليم عند بلوم وزملائه.
- من وسائل تحقيق الشيخ للجوانب مهارية إثارته الحوارات في كل مبحث من مباحثه مع ما رافق ذلك من تنبيهات.
- يعد هذا التأليف صيغة متقدمة لكل باحث يحاول المزج المعرفي والوجداني، وذلك من خلال التوجهات البلاغية القرآنية التي أثارها المؤلف بفيض من وجدانياته ونبض إيمانه وتوحيده.

## التوصيات:

- أن تخصص أقسام منه بالدراسة في الكليات والمعاهد الشرعية، وأن يقتبس منه بعض المؤلفين للكتب المدرسية موضوعات وتطبيقات مناسبة.
- أن يستفيد منه أرباب الوجدانيات الدينية بما اشتمل عليه من تفسيرات للشواهد البلاغية تعزز المعاني القرآنية إلى حد بعيد.

## قائمة المصادر والمراجع:

- (1) البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ.
- (2) الترمذي، محمد بن عيسى: سننه، تحقيق وتعليق أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، ط2، طبع مصر، البابي الحلبي، 1395هـ.
- (3) الجبوري، يحيى وهيب: منهج البحث وتحقيق النصوص، ط2، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2008م.
- (4) الخليلي، سعيد بن خلفان بن أحمد: سمط الجواهر الرفيع في علم البديع، تح: محمد بن يحيى بن سفيان الراشدي، ط1، ذاكرة عُمان، مسقط، 2015م.
- (5) درويش، أحمد: مدخل إلى دراسة الأدب في عُمان، دار الأسرة للطباعة والنشر، مصر، 1992م.
- (6) الدينوري، عبدالله بن مسلم بن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ.
- (7) الذهلي، حمد بن سالم: الجهود النحوية في عُمان، ط1، مؤسسة الانتشار العربي، 2009م.

- (8) السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي: مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه نعيم زرزور، ط2، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1470هـ-1987م.
- (9) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب: المعجم الصغير، تحقيق محمد شكور محمود، ط1، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت 1405هـ.
- (10) العجاج، ديوانه، تحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس، دمشق، 1971م.
- (11) الفارسي، الشيخ منصور: تقريب الأذهان إلى علمي المعاني والبيان، تح: حميد بن علي بن خلفان الشهومي، 2015م، جامعة نزوى، د. ن.
- (12) القزويني، الخطيب جلال الدين أبو عبدالله محمد بن قاضي القضاة: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، مختصر تلخيص المفتاح، دار الجيل، بيروت.
- (13) الكبيسي، فجر: اشتقاق الأهداف السلوكية، ورشة عمل، مكتب معايير المناهج، هيئة التعليم: [www.edu.gov.qa](http://www.edu.gov.qa)
- (14) مصاروة، نادر: طرائق تدريس اللغة العربية في ضوء التربية الحديثة، مجلة جامعة إلكترونية، أكاديمية القاسمي، فلسطين، العدد7.